

Abu Hilal al-‘Askari and His Contributions to the Field of Arabic Criticism***Mohamed Rady Mohamed Elpaz Elsheakh¹**Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia¹***Correspondence Address :** mohamedrady@unishams.edu.my**Citation**

Chicago Manual of Style 17th Edition
Mohamed Rady Mohamed Elpaz Elsheakh., "Abu Hilal al-‘Askari and His Contributions to the Field of Arabic Criticism". *Al-Jawhar*, 3(1), 80-88.

Abstract

The study of Abū Hilāl al-‘Askarī’s contribution to Arabic literary criticism is important because some scholars have regarded him merely as a compiler and transmitter of earlier critical views rather than as a figure with original contributions to the development of classical Arabic criticism. This research aims to reassess Abū Hilāl al-‘Askarī’s position and to explain the nature of his contribution to Arabic literary criticism, particularly through his major work, Kitāb al-Ṣinā‘atayn. This study employs a descriptive-analytical method, supported by a historical-critical approach and textual analysis of the ideas, structure, and literary examples presented in al-Ṣinā‘atayn. The findings show that Abū Hilāl did not merely collect the opinions of previous critics, but also organized, classified, explained, and enriched critical and rhetorical materials with strong aesthetic sensitivity and linguistic insight. His work played an important role in clarifying rhetorical concepts, establishing standards for evaluating textual beauty, and guiding readers and writers in understanding the quality of literary expression. Thus, Abū Hilāl al-‘Askarī deserves to be positioned as an important link in the development of classical Arabic literary criticism, as his contribution connects earlier critical traditions with a more systematic form of rhetorical inquiry.

Keywords : Arabic Literary Criticism, Abū Hilāl Al-‘Askarī, Kitāb Al-Ṣinā‘atayn, Rhetoric, Classical Criticism

أ. المقدمة

تعرض التراث العربي في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين لظلم كبير، ليس من المستشرقين وحسب، ولكن من منتسبي هذا التراث أيضاً، ساعد على ذلك الهزيمة العسكرية والثقافية للحضارة العربية الإسلامية أمام الحضارة الأوروبية، وظهرت ظاهرة جديدة في ذلك الوقت وهي الانبهار بالحضارة الغربية بكل ما فيها، وعى إثر ذلك ظهرت موجة جديدة من النقد الجارح لتراثنا، ونادت بوجوب طرح هذا التراث بالكلية فلا فائدة فيه فهو تراث ولى مع زمنه، وراحوا يستجلبون النظريات الغربية وخاصة في مجال النقد والأدب، ويحاولوا تطبيقها على الأدب العربي، وهذا - فيما أرى - خطأ كبير وقع فيه النقاد الذين فتنوا بالغرب وبنظرياته الأوروبية فتنة كبيرة، لأن الإنسان ابن لثقافته، والعادات والتقاليد والعقائد، ومن ثم تصور كل الأشياء كل هذا يشكل الفكر الأدبي لكل أديب، فالأديب يحتاج من هذا المعين، فمثلاً نظرية صلب المسيح عليه السلام تختلف نظرة الأديب المسيحي في التعبير عنها عن نظرة الأديب المسلم مثلاً هذا على سبيل المثال، قس على هذا بقية التصورات لمختلف المشاعر والأحاسيس، والنظريات القيمية والخلقية، ومن ثم فلكل أدب مقاييسه ونظرياته التي تختلف عن أي أدب آخر، هذا مع الإقرار أن هناك تشابه ونقاط تماس بين كل أدب وآخر، لكن هذا لا يبرر التماهي مع أدب الآخرين.

ومقاييس النقد الأدبي وأصوله لا تفرض على الأدب فرضاً، وإنما يجب أن تستنبط من نصوصه الممتازة على أنها خواص وجدت فأكسبتها القوة والجمال وجعلتها قادرة على التأثير والخلود، ولا يعني كلامي هذا أن كل نقادنا وبلاغيينا يعم وجهه نحو الغرب وطرح التراث العربي كلية. وإنما كان هناك فئة آمنت بتراثها وزادها الله هدى. عادت إلى تراثها تقرأه قراءة متأنية لاستخلاص ما به من مفاهيم، ومقاييس أدبية ونقدية يمكن الارتكاز عليها لبناء نظرية حديثة منطلقة من تراثنا وعقائدها وثوابتنا.

وأرى أن دراسة الشخصيات وجهدها الفكري والنقدي كل على حده، وأن تفرد لكل شخصية من هذه الشخصيات ما تستحق من دراسة، لأن كل شخصية من هذه الشخصيات لها مشروع فكري، أو مجموعة أفكار ظلت عللاً مدار تأليفها تلح عليه. حتى إذا اكتملت تلك الدراسات يمكننا أن نستخلص منها ما يراد استخلاصه من أصول ومقاييس لمختلف العلوم، وخاصة الأدب والبلاغة، أو بطريقة أخرى يمكن لهذه الدراسات الإسهام في بلورة نظرية عربية في الأدب والنقد نابعة من تراثنا ومتسقة مع أدبنا.

وثمة صعوبات بالغة تواجه كل من يحاول التصدي لرصد المسار العام والكلي لتاريخ البلاغة والنقد لأن تاريخهما طويل وممتد، وهذه المحاولة لا تخلو من مخاطر لمن يتعرض لرصدها ودراستها وتتمثل هذه المخاطر أن يلتزم الراصد المسار العام الكلي فتفلت منه الملامح التفصيلية الدقيقة والعميقة لهذا المسار

هذه الملامح المتمثلة في هذه الخطوط الجزئية ذاتها، ويجد نفسه في النهاية لم يرصد إلا كل ما هو عام وسطحي في هذا المسار، أو أنه يجمع بين أشياء وليس بينها جامع في الحقيقة^(١).
لذا كان لابد من دراسة إنتاج كل شخصية منفردة للتركيز على الملامح التفصيلية والخطوط الجزئية، وبذلك نكون قد أفدنا التراث البلاغي والنقدي من ناحيته المسار الكلي العام والخطوط الجزئية واللامح التفصيلية، وقد اخترت في هذا البحث شخصية من الشخصيات البلاغية والنقدية التي عاشت في القرن الرابع الهجري.

ب. الطريقة

تستخدم هذه الدراسة المنهج التاريخي-النقدي وتتميز بأنها وصفية-تحليلية، بما يتوافق مع معايير البحث في الدراسات الأدبية الكلاسيكية. نوع البحث هو بحث مكتبي، يركز على دراسة المصادر الأولية والثانوية المتعلقة بأبي هلال العسكري وكتابه الصناعتين. طرق جمع البيانات تعتمد على دراسة وتحليل الوثائق، بما في ذلك قراءة النص الأصلي لـ الصناعتين، وملاحظات النقاد الكلاسيكيين، والمراجع المتعلقة بتاريخ البلاغة والنقد العربي. كما تم استخدام المصادر الثانوية مثل الكتب والمقالات والمجلات الأكاديمية التي تتناول أبي هلال ونظريات البلاغة.

تقنيات تحليل البيانات تعتمد على تحليل المحتوى والتحليل النصي، حيث يقوم الباحث بتحديد المفاهيم والأساليب والأمثلة الأدبية التي عرضها أبي هلال، ومقارنتها بآراء النقاد السابقين لتقييم أصالة مساهماته. تم إجراء التحليل بشكل منهجي من خلال مراحل: جمع البيانات، تصنيف الموضوعات، رسم خرائط الفكر النقدي، واستخلاص الاستنتاجات. صلاحية البيانات تم التحقق منها عبر تثليث المصادر، أي مقارنة المعلومات من عدة مصادر أولية وثانوية لضمان دقة تفسير أعمال أبي هلال. المجتمع والعينة تشمل جميع أعمال النقد العربي الكلاسيكي ذات الصلة بالموضوع، مع التركيز على الصناعتين كعينة رئيسية لكونه العمل الأكثر اكتمالاً وتمثيلاً لأبي هلال. ويكون موقع البحث مفهوماً، أي على المصادر المتاحة في المكتبات والمصادر الإلكترونية الموثوقة.

ج. النتائج والمناقشة

مكانة أبي هلال العسكري في تاريخ البلاغة والنقد

تظهر مكانة أبي هلال من خلال مؤلفاته وخاصة كتابه "الصناعتين" الذي حوى الكثير من المباحث اللغوية المهمة التي دارت في كتب البلاغة، فالباحث في الفصاحة والبلاغة الذي شغل علماء البلاغة منذ أن كان نبتاً صغيراً حتى أفرغوا ما في جعبتهم في محاولة فهمها وبيان أسباب ائتملافها، ونواحي

^١ البلاغة العربية تاريخها، ومصادرها، ومناهجها د/ على عشر زايد ص ٥ مكتبة الشباب ط ٣ سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

اختلافها، كل ذلك مدين بتنظيمه لأبي هلال العسكري، واقتفاه المؤلفون في البلاغة ممن جاء بعده فجعلوا هذا الباب أول موضوعات البلاغة تكلموا في أصل اشتقاقها اللغوي وأيهما يكون في اللفظ أو في المعنى أو في الكلمة أو الكلام أو المتكلم كما فعل أبو هلال. هذا ويعتبر كتاب "الصناعتين" من المؤلفات النقدية والعلمية المهمة التي عاجلت الأدب، ووضعت لأركانه حدوداً ومقاييس أخذها غيره من الدارسين.^٢

وأرى أن قيمة كتاب "الصناعتين" تكمن في أنه يكاد يخلص للدرس البلاغي من حيث إن أبا هلال يسعى فيه إلى الكشف عن جماليات النص العربي نثراً ونظماً، وبقراءة الكتاب يظهر أبا هلال ألف كتابه لغايتين: (١) غاية دينية وهي خدمة العقيدة الإسلامية وكتابها القرآن الكريم لإثبات إعجاز القرآن، وفهم أسرار جماليات النص القرآني، (٢) وضع ضوابط ومقاييس للنص الأدبي. هذا ولم يكن كلام أبي هلال مقصوراً على النقد وحسب، ولكن كان كلامه في كتابه يتجه به إلى كل من يتعرض للنص الأدبي سواء بالنقد أو بالاستمتاع به من المتلقين، ويساعد على تكوين ملكة تذوق جماليات التعبير اللغوي ويعني هذا أن علم البلاغة - كما يرى أبا هلال - يساعد من يتلمس طريقه إلى فن القول شاعراً كان أم كاتباً على توخي الإجابة في التعبير.^٣

أبو هلال العسكري والمتكلمون

ثمة مدرستان في التأليف البلاغي عُرفتا منذ بداية التأليف البلاغي وهما مدرسة المتكلمين، ومدرسة الأدباء. أما مدرسة المتكلمين فهي الطريقة "التي تتميز بالتحديد اللفظي والروح الجدلية، والعناية بالتعريف الصحيح، والحرص على القاعدة المحددة مع الإقلال من الشواهد الأدبية، والاعتماد على المقاييس الفلسفية من خَلَقِيَّات وطَبِيعِيَّات ونَحْوَهَا، وعلى القواعد المنطقية في الحكم بحسن الكلام وجودته، أو بقبحه ورداءته ... وتعني المدرسة الكلامية هذه أولاً وأخيراً بإعجاز القرآن الذي هو متلقى ما بين الأدب والعقائد والفلسفة الإلهية وما أشبهها"^(٤).

والمدرسة الثانية هي المدرسة الأدبية أو مدرسة الأدباء: وتتميز بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نثراً وشعراً مع الإقلال من التعاريف، والقواعد والأقسام والاعتماد في التقويم الأدبي على الذوق الفني، وحاسة الجمال أكثر من الاعتماد على الفلسفيات المختلفة والمنطقيات ... وتعني بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيد من الكلام، وتربية الذوق الناقد، وحينما تمس مسألة الإعجاز تمسها مسأً أدبياً ما أمكن^(٥). وأياً ما كان الاتفاق أو الاختلاف في جزئيات تعريف المدرستين السابقتين فإننا نجد أن

^٢ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانه ص ١٨٨ مكتبة الانجلو المصرية ط ٣ ص ١٩٦٠م.

^٣ فن القول د/ شفيع الدين السيد ص ١١٧ مكتبة النصر بالقاهرة ط ١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

^٤ انظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب د/ أمين الخولي ص ٩٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥ م.

^٥ مناهج تجديد د/ أمين الخولي ص ٩٦.

هناك مدرستين في البحث البلاغي، مدرسة اتخذت البحث البلاغي لإعجاز النص القرآني مجالاً للدراسة، وأخرى بحثت في البلاغة لخدمة النص الأدبي.

فإلى أي مدرسة من هاتين ينتمي أبو هلال؟

ذكر الأستاذ بدوي طبانة أن أبا هلال نهج نهج المتكلمين في دراسة الأدب ونقده، وإن ادعى نفوره من مذهبهم، ثم يعلل لذلك بأن أبا هلال لجأ إلى هذا ليخفي هذه الحقيقة حين رأى تلك الحملات القوية على مذهبهم في نقد الأدب نقداً يعتمد على معرفة الحدود ووجوه التقاسيم، وأسلوب المناقشة والجدل^(٦).

ولكننا نجد في كلام آخر للدكتور طبانة ما ينقض هذا الكلام، كلام فحواه أن أبا هلال يتبع المدرسة الأدبية، فيقول: "إن أبا هلال يضع القاعدة ويقسم الأقسام ثم يشرحها ويحللها ويمثل لها من محفوظه، ويسرف في التمثيل والاستشهاد إسرافاً ظاهراً، حتى لقد يكون من الممكن أن يعد كتاب "الصناعتين" بهذا كتاباً من كتب الأدب التي تحشد فيها النصوص البلاغية، والأقوال المأثورة في كل فن من فنون الأدب"^(٧).

والدكتور طبانه هنا لم يحدد في كلامه إلى أي مدرسة ينتمي أبو هلال تحديداً قاطعاً لا مرية فيه، فجاء كلامه في كتابه متناقضاً. وذهب الدكتور أمين الخولي إلى رأي مؤداه إن أبا هلال يتبع مدرسة الأدباء، ومع تأكيد الدكتور الخولي على ذلك إلا أنه عاد وذكر أن "أبا هلال لم ينج من تأثير المتكلمين، ولم يخلص أبو هلال للطريقة الأدبية بصفة تامة"^(٨).

ومناقشة هذين الرأيين أقول: إن كتاب "الصناعتين" تظهر فيه واضحة وقوية غلبة النزعة الأدبية على النزعتين الكلامية والمنطقية، وأرى أن كتاب "الصناعتين" كتاب أدبي الطابع، ألفه أبو هلال، ووضع فيه المقاييس التي يراها، ويجب توافرها في العمل الأدبي، فأكثر من الشواهد الأدبية شعرها ونثرها، وآيات القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأحسن اختيار أمثله، واعتمد على حافظته الواعية لأشعار العرب ونثرها، فكان أديباً شاعراً وهذا ساعده كثيراً في عمله، أما التأثير بمذهب المتكلمين فلا حظ لأبي هلال فيه لأن التعريفات والتقاسيم التي كان يبدأ بها فصول كتابه أمر بدهي يتسق وطبيعة العلوم اللغوية والشرعية، وتأليفه في البلاغة بوصفها علماً مثل بقية العلوم اللغوية والشرعية يقتضي تعريف الكلمات لغوياً، واصطلاحياً، وما ورد فيها من آراء أخرى ووضع الحدود والضوابط لا يقصد بها أنها قانون سنّة يجب الالتزام به بقدر ما هي أطر علمية تحد كلامه عن الانسيابية، ولا سيما أنه ألف كتابه - فيما أظن - لكتب مثل كتاب الجاحظ "البيان والتبيين" الذي كان استطرادياً تتزاحم الأفكار فيه حتى يبدو أنه

^٦ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانة ص ١٠٦.

^٧ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانة ص ١٠٦.

^٨ مناهج تجديد د/ أمين الخولي ص ١٢٣.

كتاب لمجموعة من العلوم مجتمعة في كتاب واحد، والبلاغة مبثوثة في تضاعيفه لا تحصل إلا بالتأمل والتصفح الكثير فأبو هلال "عنى بالتنظيم العلمي وحصر الأحكام بعد أن كانت مبثوثة في "البيان والتبيين" وغيره فحول مجرى النقد الذي يعتمد على الذوق والموازنة إلى علم واضح المعالم يبين السمات هو علم البلاغة"^(٩).

وهذا - فيما أرى - حق فكتاب "الصناعتين" نموذج لافلت للنظر في التنظيم والتبويب، فمادته العلمية موزعة على أبواب والأبواب مقسمة إلى فصول يختلف عددها باختلاف الأبواب ولا يقتصر التنظيم على الناحية الشكلية من الكتاب وحسب وإنما امتد أيضا إلى عرض المادة العلمية، فبعض الأفكار والمسائل يسبق بعضها الآخر، لأن الأخيرة مبنية على سابقتها^(١٠).

منهج أبي هلال في كتابة "الصناعتين"

نهج أبو هلال العسكري نهجاً علمياً خالصاً عاج فيه جوهر الشعر، ودرس المعاني، والألفاظ، وفصل ما تسمو به وما تتضع دون أن يتعرض لعوامل الإجادة، وبواعث المعاني، ومنابع الألفاظ، فلم يتحدث عن الروافد الثقافية للشعراء، ولم يتحدث عن الملكة أو الموهبة، والعوامل التي تتسبب في عملية الإبداع ذاتها، وربما كان هذا تمهيداً لمن يأتي بعد أبي هلال فيسد هذه الثغرة، وبملا هذا الفراغ، وظهر ذلك جلياً عند حازم القرطاجني، فاهتم ببواعث الإجادة وفصل في بواعث الإبداع، وقوة التأثيرية لدى المتلقي، واهتم ببناء المعاني، كما اهتم أيضاً بدلالات الألفاظ وقوة سبك التراكيب^(١١).
نخلص في النهاية أن روح التوصيف البلاغي والتوجيه الفني تسيطر على أبي هلال في معظم أبواب كتابه^(١٢).

أبو هلال وناقده

تبقى في النهاية عدة نقاط نقدية وجهت إلى أبي هلال وكتابه "الصناعتين" وهي كالتالي:

١- إن أبا هلال في كتابه "الصناعتين" كان ناقلاً عن السابقين ولم يكن له حظ من الابتكار.

هذه النقطة سأكتفي فيها بقول الدكتور إحسان عباس عن الكتاب: "إنه حسن التبويب، حافل بالأمثلة، سهل المأخذ للدارس، ويحتل البديع فيه أكثر من ثلثه، ولكنه صورة عجيبة لعدم الاستقلال بأي رأي ذاتي وليس لأبي هلال فيه إلا تنسيق المادة وترتيبها في فصول والاستكثار من الأمثلة"^(١٣). ويرتب

^٩ أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانة ص ١٢١ بتصرف.

^{١٠} فن القول د/ شفيع السيد ص ١١٨. وانظر أيضاً تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري د/

إحسان عباس ص ٣٥٥ دار الثقافة بيروت لبنان ط ٣ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.

^{١١} منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني ص ١٥٤.

^{١٢} فن القول د/ شفيع السيد ص ١٢٢.

^{١٣} تاريخ النقد الأدبي د/ إحسان عباس ص ٣٥٥.

الدكتور إحسان عباس على ذلك نتيجة مؤداها أن كتاب "الصناعتين" ليس له قيمة جديدة في تاريخ النقد؛ لأن صاحبه لم يضيف جديداً إلى الآراء السابقة من لدنه

وأكتفي بهذا الشاهد لأن الكثير من الباحثين أخذ على أبي هلال وكتابه هذا المأخذ. وأرى أن هذه مشكلة أخرى أصابت تراثنا النقدي من قبل الذين تعرضوا له، وهي ما أن يقول كاتب أو ناقد رأي على علم من أعلام تراثنا، أو على كتاب من كتب تراثنا إلا ويتلقفه من يأتي بعده يكرر نفس الرأي ونفس المأخذ، دونما تحقيق، أو دراسة خاصة هذا في الأعم الأغلب من جل كتاباتنا النقدية.

مع إقرارنا أن أبا هلال قد نقل عن غيره، وأنه مفسر وشارح لأراء سابقه، أرى أن هذا كله يعتبر من منابع بلاغته، ورافداً من روافد ثقافته التي امتاح منها حتى تكونت عقليته البلاغية، وذائقته الأدبية، وحسه الفني الرائع، فأبو هلال أحد الذين منحوا قدرة بارعة على الإطلاع وصبرا على الدرس والتحصيل فقرأ وقرأ، وانتفع بقرائه، وهذا الانتفاع واضحاً جلياً فيما خلف من تراث يحتل منزلة جليلة في المكتبة العربية كما يقول الدكتور بدوي طبانة^(١٤).

وهذا أمر بدهي والعلوم العربية ما زالت في بواكيرها الأولى رغم مضي ما يقرب من أربعة قرون على بدايتها فكان أمراً لازماً أن يطلع أبو هلال على كتابات سابقه كلها، ويعيها وعياً جيداً، وفي هذه الحال تصبح عملية الإبداع والابتكار من الصعوبة بمكان ولكي نفصل القول في هذه المسألة نسجل مجموعة من النقاط المهمة على النحو التالي:

١. أفاد أبو هلال من كل الكتب السابقة عليه من أمثال "البيان والتبيين" للجاحظ، و "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام، و "الشعر والشعراء" لابن قتيبة، و "البديع" لابن المعتز، و "عيار الشعر" لابن طباطبا العلوي؛ و "نقد الشعر" لقدامة، و "الموازنة" للآمدي، و "الوساطة" للجرجاني وغيرهم ممن سبقه نعم قرأ أبو هلال كل هذه الآثار قراءة فحوص وإمعان، واستطاع أن يعي خير ما فيها، وأن ينقد منها ما هو معيب، سواء أكان عيبه من ناحية المنهج الذي سلكه المؤلفون أم كان في الموضوع الذي عرضوا له، واستطاع أبو هلال أن يمحس هذه الكتب، وأن يستخلص زبدتها في كتبه وخاصة كتابه "الصناعتين" الذي يمكن أن نعهده مجتمع أفكار السابقين مع اختلاف مذاهبهم وتباين مناهجهم في البحث، وأن يؤلف بين هذا المذهب أو ذاك، وأن يوحد تلك المناهج لدرجة أنه من الممكن للقاري أن يجتزئ بكتاب "الصناعتين" عن هذه الكتب الكثيرة؛ لأنه يجد فيه خلاصة التجارب والأفكار في دراسة الشعر والنثر، فهذه الكتب التي تعرضت للأدب ونقده كانت الموارد التي روى منها كتاب "الصناعتين" أو هي منابع بلاغته ونقده^(١٥). وعلى هذا فإن الكتاب قد استوعب كل ما كتب قبله في مجال البلاغة والنقد استيعاباً كاملاً وواعياً، وأعاد تنظيمه وتبويبه

^{١٤} انظر: أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانة ص ٧٣ وما بعدها.

^{١٥} انظر: أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية د/ بدوي طبانة ص ٧٣ : ٧٤.

وتصنيفه بصورة لا نكاد نجد لها في كتاب سابق على هذا الكتاب متبعا في ذلك منهجاً على قدر واضح من الدقة والإحكام^(١٦). ويجب علينا ألا نقلل من أهمية التبويب والتنظيم، فالتبويب والتنظيم في التأليف ركن مهم وعنصر له اعتباره في الكشف عن ذهنية المؤلف وعقليته، وليس كل الناس يجيد رسم الخطة، وتصور المنهج، وإنما ذلك مقصور على الممتازين منهم، فهذا يحمد لأبي هلال وليس ذمّاً له، فهذا سهل الأمر كثيراً على من أتى بعده، ووفر جهد الباحثين.

٢. إن الكتاب أولى البلاغة اهتماماً كبيراً، أضف إلى ذلك أن القضايا البلاغية تمتاز بالقضايا النقدية، غير أن الجانب البلاغي في الكتاب متميز وبارز بحيث يستأثر بالشرط الأكبر من الكتاب، وبحيث يمكن اعتبار "الصناعتين" أو تمهيد حقيقي لانفصال البلاغة عن النقد في القرن الخامس، ومع محاولة ابن المعتز في القرن الثالث، وقدماء في القرن الرابع، فإن فكرة انفصال البلاغة عن النقد لم تكن واضحة في ذهن صاحب "الصناعتين" وكما انعكست في كتابه، طور أبو هلال أفكار السابقين وآراءهم، ورفدها بالكثير من الأمثلة، وفصل ما يحتاج إلى تفصيل منها ولخص ما يحتاج إلى تلخيص، وهذب ما يحتاج إلى تهذيب، فلم يكن دوره دائماً يقتصر على النقل عن الآخرين بدون تصرف^(١٧).

٣. نعتبه بعض النقاد أمثال الدكتور "مُحَمَّد مندور" حيث ذكر أن أبا هلال رجل سقيم الذوق^(١٨). ومع عظم شأن الدكتور مُحَمَّد مندور في مجال الأدب والنقد إلا أنه أطلق حكماً قاسياً على الرجل وعلى اختيار أمثله دونما ذكر دليل من أمثله ويوضح أنه سقيم الذوق. وهذا ليس إلا الاستهانة بترائنا العظيم ومؤلفاتهم الذين بذلوا فيها جهداً جباراً لأجيال تأتي بعدهم لم يروها. والحقيقة إن أبا هلال أحسن اختيار أمثله، والأمثلة تشي بذوق عالٍ رفيع، فقد كان أبو هلال شاعراً أديباً، والوفرة من النماذج الأدبية شعراً ونثراً واضحة في الكتاب، فلقد عزز أبو هلال كتابه بفيض غزير من النصوص الشعرية والنثرية، وكثير من التفسيرات وتعقيبات النقاد وأهل البصر باللغة، وهذا ما يجعل للكتاب قيمة علمية تغطي عنصر الابتكار والإضافة فيه، وتميزه في الوقت نفسه من سائر كتب البلاغة التقليدية^(١٩).

د. الخلاصة

تظهر نتائج هذا البحث أن أبو هلال العسكري لم يكن مجرد ناقل لآراء النقاد السابقين بل لعب دوراً محورياً في تطوير النقد العربي الكلاسيكي من خلال كتابه الصناعتين، حيث نظم وصرّف المادة

^{١٦} النقد الأدبي والبلاغة د/ علي عشري زايد ص ٩٤.

^{١٧} انظر: النقد الأدبي والبلاغة د/ علي عشري زايد ص ٩٤.

^{١٨} النقد المنهجي عند العرب، ومنهج النقد في اللغة والأدب د/ مُحَمَّد مندور ص ٣٢٠، نخبة مصر للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٤م.

^{١٩} فن القول د/ شفيع السيد ص ١١٩.

النقدية بطريقة علمية موازنة بين التقاليد السابقة ورؤيته الأدبية، وقد ساهم الكتاب في تحديد المعايير الجمالية للنصوص الأدبية وتعزيز ملكة التذوق لدى الأدباء والمتلقين، كما أظهرت الدراسة أن الميول الأدبية واضحة مع انخفاض التأثير بالمنهج الكلامي والفلسفي، مما يؤكد أصالة منهجه النقدي ويجب عن الأسئلة البحثية المطروحة في المقدمة؛ وبناءً على ذلك يُوصى بالاهتمام بالدراسات النقدية والبلاغية العربية القديمة مع تخصيص بحوث مستقلة لكل ناقد لإظهار مساهماته الفريدة، واستخدام منهج التحليل النصي والتاريخي-النقدي لدراسة الأعمال الكلاسيكية، واستغلال نتائج البحث في مقارنات مستقبلية بين منهجيات النقد القديم والحديث وتطوير برامج تعليمية لتعريف الطلاب بأساليب النقد الكلاسيكي وتطبيقاتها العملية، مما يوضح أن أهداف البحث المحددة في المقدمة قد تحققت وأن النتائج يمكن أن تُسهم في تطوير الدراسات المستقبلية للنقد العربي وتحليل البلاغة بشكل أعمق.

المراجع

- عباس، إ. (١٩٨١). (تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري (الطبعة ٣). بيروت، لبنان: دار الثقافة.
- الخولي، أ. (١٩٩٥). (مناهج تحديد في النحو والبلاغة والأدب. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- طبان، ب. (د.ت). (أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية (الطبعة ٣). القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- القرطاجي، ح. (١٩٨٦). (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، (الطبعة ٣). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- السيد، ش. (٢٠٠٣). (فن القول (الطبعة ١). القاهرة، مصر: مكتبة النصر.
- زايد، ع. (١٩٩٦). (البلاغة العربية: تاريخها ومصادرها ومنهجها (الطبعة ٣). القاهرة، مصر: مكتبة الشباب.
- مندور، م. (٢٠٠٤). (المنهج عند العرب. القاهرة، مصر: نخضة مصر للطباعة والنشر.